مجلة سيميائيات
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973
المجلد: 16 العدد: 02/ سبتمبر 2020
ص: 218 - 231

إشكالية القراءة وآليات التأويل في الممارسة النقدية بين التراث والحداثة

The Problematic of reading and hermeneutic Mechanisms in critical practice Between heritage and modernity

د. شرفاوي نورية*

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم (الجزائر)

nouria.cherfaoui@univ-mosta.dz

تاريخ الإرسال: 2020/05/25	تاريخ القبول:2020/06/02	تاريخ النشر: 2020/09/01

ملخص: لقيت إشكالية القراءة اهتماما متزايدا على صعيد البحث النظري والتطبيقي حتى احتلت في المعرفة الحديثة مكانة عالية وغدا السؤال عنها وعن منطلقاتها وأهدافها وكيفياتها غاية كل الباحثين، فبدت واسعة ومتشعبة، فالمتأمل في تراثنا العربي القديم يجده حافلا بالكثير من القراءات خصوصا منها القصائد الشعرية التي تقاطر العلماء والنقاد على شرحها وتفسيرها فكان شرح القصائد التسع الطوال لابن الأنباري وشرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس وغيرهما.. وكان يطلق عليها آنذاك الشروح.

تهتم هذه القراءة بالمفردات والصور والتراكيب، لكن اليوم تحولت إلى نشاط ابداعي خلّاق لا تقل أهمية عن نشاط الكتابة بفعل خضوعها لجهد تنظيري منهجي مكثف حتى أصبحت شريكا مركزيا في إنتاج النص الأدبي ولم تعد قاصرة على المبدع الذي أنتج بل لا بد من مشاركة القارئ من خلال حواره مع النص بقراءة جديدة، لها علاقة بانفتاح النص وتعددية تأويلاته وفق قراءة جمالية خاصة، و بظهور الدراسات اللسانية الحديثة كان لابد من إعادة قراءة النصوص القديمة بآليات جديدة ترتقي فيها القراءة إلى الموضوعية العلمية بامتلاك الشفرة اللغوية فنحن نقرأ أوّلا اللغة، لذلك أهملت القراءة المؤلف واهتمت بالنص نفسه من خلال المقاربة المحايثة كما نادى بها بارت، ثم انتقلت إلى القارئ فطالعنا نظرية القراءة على أن المعنى يولد نتيجة اللقاء بين النص المقرئ ونص القارئ فتتحول القراءة إلى نص فلا وجود لقراءة دون هذه الأقطاب الثلاثة: النص كمجموعة دوال، والقارئ كنص، ولقاء النص مع القارئ كدلالات، لهذا، من العسير أن نتحدث عن النص خارج قراءة غنية بالخلفيات المعرفية التي تستند إليها جمالية التلقي.

الكلمات المفتاحيّة: القراءة، النقد، المناهج، التأويل، التلقي، التراث، الحداثة.

Abstracat: The issue of reading had an increasing interest in theoretical and applied research and occupied in modern knowledge a high status, which made curious researchers on these origins, these objectives and these methods. vast and complex, and who meditates in the ancient Arab heritage will find many readings, in particular those of poetic poems that the ulamae and critics took care to explain and interpret, such as the nine poems of Ibn Alaanbari and the nine famous poems of Ibn enahass and others .. At that time, it was called explanations.

* المؤلف المرسل

This reading is interested in vocabulary, images and syntaxes, but today it has turned into a creative activity, not less important than writing by submission to intensive theoretical and methodological efforts, to a point where it has become a central partner in the production of the literary text, since it is no longer limited to the creator who produced it, but it requires the participation of the reader through his dialogue with the text insofar as he must provide him with a new reading which has a relationship with the opening of the text and the plurality of interpretations and which aim at the aesthetic aspect in general. New linguistic studies had perfected the re-reading of old texts with new mechanisms to raise reading to scientific objectivity, here we have the linguistic code, we first read the language which neglected the author and gave more importance to the te xte himself through the immanent approach provided by Barthes, then it was based on the reader which gave rise to the theory of reading, knowing that the meaning is manifested by linking the text read to the text of the reader and to this stage where reading is transformed into text, there is therefore no reading without these three poles: the text as a group of signifiers and the reader as text and the link of the text with the reader. As indications, it is difficult to speak of the text apart from a reading rich in cognitive references based on aesthetic reception.
Key words: **:** Reading, criticism, methods, hermeneutic, receiving, heritage, modernity.

مقدمة:

ارتبط فعل القراءة في التاريخ الأدبي غالبا بفكرة الْتقاط مضمون الرسالة أو معناها وهذا لا يعني أن التأويلات المختلفة لم تكن حاضرة في ساحة القراءة، مع الحرص على أن هناك مضامين ثابتة بخصوص هذه المعاني النصية. من هنا دخلت نظرية التأويل حاملة معها نسبية القيم الفنية (وخضوعها إما للارتقاء أو الانحدار عند الأدباء كحال فن الخطابة والرسالة اللذين لم يعد لهما في الوقت الحالي تلك المكانة التي حظيا بها هذان الفنّان على مستوى الانحدار، أما على مستوى الارتقاء فلنا في كليلة ودمنة المثل في ذلك، فبعدما كان صنفا خاملا نقديا، أصبح يحتل منزلة مرموقة على المستوى العالمي في حضن علم الأدب والنقد) 1 القراءة في تراثنا النقدي القديم.

لقد عرفت العلوم الإنسانية الحديثة تطورا نوعيا وتحولا جذريا في منطلقاتها الفكرية وتصوراتها المنهجية وممارساتها النقدية ذلك لتطور التفكير البشري وتقدّم البحث العلمي فتلاحقت المعارف الإنسانية وتداخلت حقولها، هذا ما لمسناه في أدبيات المعجم النقدي المعاصر، وفي ظل الوعي النقدي الجديد كان لزاما على الثقافة النقدية أن تجدد مرتكزاتها النظرية وتحدث أدواتها الإجرائية وتطور معجمها النقدي، حتى وإن تعاملت مع المعارف الإنسانية بوعي في التعامل مع النص الأدبي، هذا ما دفع بالخطاب النقدي المعاصر إلى إعادة قراءة التراث بما يتوافر عليه من حمولة معرفية وحصيلة ثقافية غنية متجاوزا القراءات التي تعتمد النظرة المحدودة ذات الشروح البسيطة تلجأ في ذلك إلى بعض المعارف اللغوية كالنحو والبلاغة وفقه اللغة، متوخية من وراء ذلك خاصية الإبلاغ باستثناء بعض قراءات الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني. فالمنهج لا يسقط من السماء كما قال ياوس ولكن له جذور في التاريخ وإن كانت القراءة مصطلحا جديدا فقراءة النصوص لها جذور في تراثنا النقدي بدءا بشروح الدواوين وكُتب النقد ككتاب الموازنة خصوصا منه حديث الآمدي عن الأخطاء في الألفاظ والمعاني عند الشاعرين(أبي تمام والبحتري) و ما دار حول شعر المتنبي للحاتمي وسرقات المتنبي لابن وكيع .

فكانت دراسات تتربص بالنص وصاحبه وتتجاوز النص بالنقد إلى صاحبه مع تعليقات ساخرة في كثير من الأحيان وفي المقابل كانت القراءة الجمالية خاصة عند القاضي الجرجاني في الوساطة وعبد القاهر الجرجاني في (أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز) وحازم القرطاجي في كتابه '(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) أيضا قراءة أحاط بها الكثير من الإشكاليات منها النظرية الجزئية للنص الشعري بقواعد عمود الشعر وبمطابقة الشعر للواقع وشرف المعنى و صحته .

في الوقت نفسه اهتم الموروث النقدي كثيرا بمسألة التشكيل اللغوي والجمالي حيث أفادت مجهودات عبد القادر الجرجاني كثيرا في تكوين المفاهيم المتميزة حول التشكيل اللغوي والبلاغي، إذ يعد من أكثر النقاد المتقدمين استيعابا للغة النقد الأدبي وأكثرهم إلحاحا على مظاهر المعنى في التركيب اللغوي والبلاغي. لذلك أكّد النقد العربي القديم على أن النشاط التخيلي الشعري ما هو إلا تزيين وتقبيح ولذلك ظل مفهوم الزينة مائلا في مصطلحاته ومن ذلك ما يتحدث عنه الجاحظ من إشباع الشاعر للصفة في حالتي المديح والهجاء وكما هو عند ابن رشيق إذ يمكن للشاعر الجمع بين الأضداد فيمدح الشيء ويهجوه في آن واحد ويقابل فيه صفات الحسن وصفات القبح.

أمّا الشعر عند أبي هلال العسكري فيقوم في نشاطه التخيلي على التأثير في الملتقي و (إن بلاغته تعتمد في قوتها على أن تتلفظ للمعنى الحسن حتى تهجنه وللمعنى الهجين حتى تحسنه)2. هذا رأي اهتم به المبرد في الكامل وابن المعتز في البديع من خلال أهمية الكناية والتعريض والتلميح كما تحدث كذلك قدامة بن جعفر عن الإرداف على أنه خاصية متميزة في تقدم المعنى وكذلك الآمدي وابن جني في معرض حديثهما عن المجاز وفائدته وأنه أبلغ من الحقيقة. وهكذا فإن الخبرة بالمعنى عند هؤلاء يميزها التنوع والاستعمال المتعدد في تحديد مدلولاته النقدية.

في بداية القرن العشرين جاءت الحركة النقدية امتدادا لحركة نقد الشعر قديما وجاءت قراءة النص عند النقاد "كالرافعي" و"طه حسين" و"حمزة فتح الله" و"العقاد" في مجملها قراءة شارحة للنص. حيث ركزوا على توافر جماليات القصيدة العمودية في النص فحفلت بالمعنى من حيث استقامته ومطابقته للواقع، فينتقون الأبيات المعيبة فنيا كما حدث في نقد " العقاد" لشعر "شوقي" متجاوزين في هذه القراءة الرؤية النقدية بل كانت قراءة تهدف للتقليل من قيمة شعر" شوقي"و "حافظ" و غيرهما.

التفاعل النقدي من البنية الى الدلالة

لا يزال الاختلاف قائما بين الدارسين و الباحثين حول مفهوم كل من المعنى والدلالة و العلاقة بينهما فكثيرا من الدراسات الغربية لا تزال تشرح المعنى بالدلالة حيث يذهب إيزر إلى أنّ "(المعنى ظاهر في اشتراك القارئ في فعل تكوينه أما الدلالة فترتبط بالمعنى في اللحظة التي تهتم فيها بترجمته إلى معرفة. فالمعنى و الدلالة ليسا شيئا واحدا ولا يمكن أن تتأكد دلالة المعنى إلا عند ما يربط المعنى بإشارة خاصة تجعله قابلا للترجمة في العبارات المألوفة)2" انطلاقا من ذلك نفهم أن دراسة المعنى اللغوي جزء من نظرية أعم موضوعها التصورات أو البنية التصويرية للعالم في ذهن البشر لهذا أكد "إيزر" على أن هناك مرحلتين متميزتين في عملية القراءة: مرحلة استجماع المعنى، ومرحلة الدلالة التي تمثل الاستيعاب الإيجابي للمعنى بواسطة القارئ.

أمّا في كُتب العرب المعاصرة فإننا نجد "عبد الله الغذامي " مثلا قد جعل (المعنى محددا معجميا بينما الدلالة مطلقة والمعنى للمفردة فهي للبنية والتركيب ...والمعنى خاضع لبنية المؤلف أما الدلالة فهي ما يفهم القارئ من النص، والمعنى يورث تاريخيا أما الدلالة فهي إفراز متجدد والمعنى جاهز أما الدلالة فإنها من استنباط القارئ أي أن المعنى سابق بينما الدلالة لاحقة والمعنى خاضع لمعيار الصحة والخطأ، أما الدلالة وجود لسلطة خارجة عنها؛ لأن قيمتها في ذاتها)3. وعلى هذا الأساس فالمعنى خاص بالمبدع و الدلالة خاصة بالمتلقي.

بينما عدّ عبد الملك مرتاض الغربيين هم مَن صرفوا المعنى إلى (الظل المعنوي الذي يمنحه أي لفظ في أدنى تصاريفه على حين أن الدلالة قد تنصرف إلى ما أعلى شأنا وأبعد غورا فتنصرف إلى التركيب المعنوي المتعلق بجملة أو بأكثر)4. و إذا كان من الشائع التمييز بينهما على أساس الثبات والتّحوّل والوحدة والتّعدد فقد حدّد الثبات للمعنى والتغيير للدلالة والوحدة للمعنى والتعدد للدلالة.

وبالعودة إلى ستينيات القرن الماضي، نجد أن اللسانيات وحدها كانت قادرة على مد النقد الأدبي وما يساعده على اكتشاف النص اعتمادا على اللغة كمادة أصلية فقد قال "دي سوسير(لا شيء واضح قبل ظهور اللسان ولا مجال لاستحضار سياقات اجتماعية أو نفسية تسقط عليه من خارجه فاللغة هي أرقى الأنساق قدرة على التعبير إنها مفتاح العالم وذاكرته وهذا ما يعني في اللسانيات التعامل مع النص باعتباره حاملا لكم دلالي معلوم وهو مبدأ يفترض أن النص مطلق الوجود و يمتلك بنية قادرة على الإحالة على دلالاتها ")5 من خلال مبدأ " المحايثة" وذلك هو الفهم اللساني في تحديد معنى النص ومن المظاهر البارزة للتطورات في حقل العلوم المعرفية ما حملته النظرية اللسانية التوليدية بما فيها النظرية الدلالية وعلاقتها بالملكات المعرفية للذهن خصوصا مع كتاب "**شومسكي**" "مظاهر التظرية التركيبية 1965 فطرحت هذه النظرية كيف يتم ربط البنية التركيبية بالمعنى (النحو التوليدي).

لقد حصر "شومسكي" الخاصية التوليدية الإبداعية للغة في المكون التركيبي وعدّ المكونين الصوتي والدلالي تأويليين: فالتوليدية تكمن (في المكون التركيبي للنحو -الذي يبني المركبات انطلاقا من الكلمات وأن الصواتة (أي تنظم أصوات الكلام) و الدلالة (أي تنظم المعنى) مكونان. وبظهور أعمال ليبرمان وبرينس (1977) و كلود سميث (1979) طرأت تحولات في تطور عدة نظريات دلالية خصوصا في السبعينات والثمانينات(الدلالة الصورية "بارتي" 1976 و النحو المعرفي "ليكوف " 1987والدلالة التصورية "جاكنوف" 1983غيرهم...) كلها متفقة على أن (" الدلالة نسق توليدي لا تقوم على وحدات تركيبية كالمركبات الاسمية والفعلية و إنما يمتلك أولياته الدلالية ومبادئه الذاتية الخاصة)6. ففي نظرية الدلالة التصورية، المعنى هو عبارة عن تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي، هي جزء من الفكر يتم فيها فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها. ف (الكلمة ذاكرة مفتوحة تائهة بدون سياق فهي جزء من قاموس، من خصائصه أنه لا يتكلم ")7 وبهذا يكون السياق أوسع من ممكنات النص المباشر (فالنص يحيا عند القارئ بتاريخيته ")8.

إنّ السياقات التي تحدثت عنها السيميائية "(ليست وليدة بنية منغلقة على نفسها إنها الإحالة الضمنية التي تشتمل عليها الكلمات والتأويل ليس إحالة على الخارج بل استنفارا لطاقات دلالية تبحث

عن تحققات مهدها النصوص التي يسقطها النص")9. ففي نظر السيميائيات التأويلية النص موجود من خلال توجيهات على حد تعبير "إيكو" وهي توجيهات موضوعية موجودة في انفصال عن الذات التي تقرأ وتؤول فهو لا يحيل على ذاتية كما تدّعي ذلك التفكيكية التي لا تعترف إلا بقصدية القارئ بينما تُركّز جماليات التلقي في بحثها عن الدلالة على نزع (البعد النفعي) وتضمينها بنية تكتسب داخلها دلالة جديدة وبدونها "(لن تكون لها أية مردودية. فنفهم أثناء القراءة أشياء لم تكن موجودة من قبل.

فحين نقوم بتأويل نص ما هذا ليس معناه كشفا لمضمونه كما كان يعتقد بل هو "(إجلاء لعلاقات ضمنية هي البؤرة التي تمكننا من إسقاط سياقات قادرة على ضمان انسجام أي فرضية تأويلية ")10. فالنص بناء وليس معطى خصوصا وأنه نسيج من الفراغات أو ما يسمى البياضات التي تحدثت عنها كثيرا جمالية التلقي والتي عدّتها خاصية مهمة من خاصيات اللغة وهذا يحيل إلى أن النقص قاعدة يقوم عليها الخطاب استنادا إلى قانون الاقتصاد في اللغة وهو قانون يسمح بألا نقول كل شيء ونكتفي بتضمين النص ما يمكن أن يستعيده القارئ أو السامع بسهولة وهذا ما جعل "بورس" و "إيكو " بعده يجعلان التأويل أساسا لكل قراءة إذ لا بد من توفر تلك الفكرة المسبقة التي على أساسها يتم تحديد الأسئلة الموجهة للنص وعلى ضوئها يتم إسقاط التأويلات الممكنة. و تلك هي الحدود الفاصلة بين النظرة اللسانية كما توحي بذلك دراسة الجملة وبين آليات التأويل كما تفترضها السيميائيات فهو منفتح على التجربة الإنسانية باعتبارها وحدات ثقافية يأويها اللسان " (فنحن لا نمثل لشيء بل نكشف عن معرفة تخصه ") 11.

لذلك عرف "بورس " العلامة على أنها أول يحيل إلى ثان عبر ثالث وهكذا فهو "(ممتدا خارج نفسه من خلال قدرته على إسقاط سياقات هي تلك التي لا تستقيم داخل الغايات الظاهرة للنص ") 12 وكل عنصر من عناصره في الحقيقة يشمل الذاكرة الخطابية كما سماها "ج.م.آدم " و التي تحيل على مجمل المعارف المشتركة بين المتكلمين خصوصا وأنّ الفكر ناقص دائما ويشمل على الضمني وعلى المصرَّح به وهو مبدأ يفترض زاوية أخرى أن النص حمال لتأويلات فكان على النص "(أن يظل مفتوحا أمام إمكانية فهم وتأويل القارئ و إلا فإنا سنشل خيال القارئ ")13.

ولأجل ذلك كانت تدخلات القراء لملء فراغات النص مرتبطة بخطاطتهم الذهنية وبخبراتهم وأفكارهم السابقة وبالظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة بظهور النص أو بالفترة الزمنية التي يخضع فيها النص للقراءة خارج زمنه الأول فيعقد مماثلة بين البنية النصية والحدث فتفسر بذلك البنية النصية بنية موجودة خارجها هي الخطاطة الذهنية عن الواقع.

بالتالي فإن ("كل قارئ سيقوم باقتناء عناصر من النص وإسقاط أخرى على غير شاكلة ما يفعله القراء الآخرون؛ لأن كلّ واحد منهم يريد إغلاق دلالة النص في الوقت الذي يتبين أن طبيعة تركيب النصوص في تحدٍّ دائم لهذا الإغلاق ما دامت مقروئيتها مفتوحة على الدوام في وجه قراء جدد في كل العصور ") 14. رغم ذلك فهناك بعض الأدوات الإجرائية التي تساهم في التحول من البنية إلى الدلالة أهمها التّكرار ذلك أن من أجل إبراز طابع الاستمرارية للوحدات الأسلوبية والدلالية لدى القارئ وتحديد دورهما كان توظيف التكرار إما على المستوى اللفظي أو المعنوي كانت وظيفة هذه البنية شد

انتباه القارئ وجعله يفكِّر في دورها الأساسي. هذا من جهة ومن جهة أخرى التضامن وهنا نتحدث عن العلاقات القائمة بين كل وحدة وما يحيط بها من وحدات أخرى مماثلة أو مناقضة لها داخل بنية نصية واحدة، ناهيك عن البنية التخيلية والبنية القصصية فالقصيدة العربية وخصوصا منها المعاصرة تتمتع بحظ كبير في تفصيل العلاقة بين العناصر القصصية والتمثيلية و العناصر المجازية خصوصا الشعر الرومانسي منها لتعميق الرؤية اتجاه قضايا العصر فالحوار بين الذوات واسع المجال لاستيعاب المشاكل المتشبعة. وهذا ما يمثله الرسم التالي:

صورة لغوية ___ حوار___تأويل ___دلالة.

وعليه فالدلالة اللغوية هي دراسة بين بناء التصورات والصورة اللغوية (الصوتية والتركيبية)و (" أن ما يبرز غنى البنية التصورية لا ينحصر في كونها مرتكز الدلالة اللغوية بل هي أيضا مرتكز الاستنتاج و الارتباط بالإدراك والفعل غير اللغويين لذلك يمكننا أن نجد دلائل على بعض أنماط البنيات التصورية لدى ذوات غير لغوية")15. فتكون البنية التصورية سابقة إبستمولوجيا على البنية اللغوية، وعليه فالمعنى الذي تحمله اللغة في مفرداتها وتراكيبها جزءٌ من البنية التصورية الغنية بمرتكزات الاستنتاج والتأويل للوصول إلى دلالات تبقى في نهاية الأمر شيئا مخالفا لأفكار النص ولأفكار القارئ ذاته دون أن يقطع الصلة بهما معا. ولا يمكن أخذه كمعنى تام للنص فلا يمكن إغلاق النص ولا تحديد دلالاته النهائية.

لذلك فالإقرار بعدم حيادية القراءة وبعدم رسم حدٍّ لها يكاد يكون أمرا بديهيا فالمتلقي للشعر الجزائري مثلا في فترة ما قبل الاستقلال يختلف عن المتلقي في فترة ما بعد الاستقلال وهذا شيء طبيعي فتفاوتُ الذوق والمعرفة واختلاف الرؤى والتطلعات بحكم الزمن كلها عوامل مارست هذا الدور. وهو المأزق الذي وجدت القراءة النسقية المحايثة نفسها في حيرة في التعامل معه مع سيرورة إنتاج المعنى فهناك سياقات برانية ثقافية اجتماعية لذلك اختلف القراء في تقبل شعر " الأمير عبد القادر" أو "مفدي زكريا" مثلا فالمعنى ليس ثابتا وقابعا في النص بل هو قابل لإعادة الصوغ والبناء. فكان التحليل والتفسير جزءا هاما في عملية الفهم حتى عدّه " غادمير" gadamer فنا مرتبطا بالشرط التاريخي ومواصفاته.

هذا ما حاول " أحمد يوسف" دراسته من خلال كتابه " يتم النص الجينيالوجيا الضائعة " من خلال القبض على تجليات تيمة اليتيم في الشعر الجزائري حيث يقول: (" حاولنا أن نخلق تلك المسافة التي تجعلنا نعيش حالة من التجاذب والتنابذ في إطار يتداخل فيه موضوع النص مع ذاتنا من منظور فينومينولوجي أساسه التحليل الحفري للخطاب الذي لا يردد المقولات الفوكاوية الجاهزة ولكنه يحاول أن يتقرب من الجيوب المظلمة للمتن الشعري الذي يختزن حالات ملتوية من التهجين النصي")16 حيث يرى أن الشعر الجزائري إبان فترة الاستعمار كان منشغلا بالقضايا الوطنية خصوصا والقومية محاكيا القصيدة المشرقية الرومانسية والحداثية أمثال "نزار قباني" و "سليمان عيسى" و"بدر شاكر السياب" و غيرهم وهذا ما صرح به " أبو القاسم سعد الله"؛ لأنهم الأقرب إلى قلب الشعب في رأيه.

خصوصا و أن القراءة تقتضي تواشجا بين الإجراءات الداخلية و الشروط الاجتماعية و التاريخية لإنتاج الدلالة.

كما قدّم أيضا "واسيني الأعرج" مقاربة للشعر الجزائري من خلال مؤلفه " ديوان الحداثة" حيث عدت هذه المقاربة محمودة إلى حدّ ما في الوقوف على أنطولوجية الشعر المعاصر في الجزائر رغم تغليب البعد الإيديولوجي عليها فقراءة التجارب الشعرية تكون من الزاوية الفنية أولا مع عدم تجاهل حق كل جيل في تصوره للحياة لذلك يرى " أحمد يوسف" أن الفهم يحتاج في نظره إلى(الإحاطة بمعرفة العالم وهذه المعرفة ليست حدسية وإنما هي فعل ثقافي وفكري تنصهر في داخله المعطيات الذاتية والموضوعية ضمن أطروحة الفلسفة الفينومينولوجيا التي نريد لها أن تعصمنا من تلك الثنائية الجاثمة على جسد المعرفة الفلسفية " الذات و الموضوع" وتهدينا سواء السبيل إلى فهم إشكالية الأنساق المفتوحة دون أن يفقدها التأويل خاصيتها الجوهرية من حيث التماسك والانسجام والشمولية والتّعدد والانتظام داخل النسق الثقافي العام")17. خصوصا وأن الدلالة ليست معطى أوليا قارا في بنية النص كما ادّعت أطروحات الشكلانيين الروس والمقاربات البنيوية الصورية فلابد أن ينصهر فيها البعد الفني مع البعد الجمالي وهذا ما جعل "أحمد يوسف" يؤيد "إيزر" في كون الدلالة هي نتاج تفاعل معقد بين المتلقي والنص ورفضه التام لمقولة " أفق التوقع"؛ لأن أفق القارئ متغيّرٌ باستمرار وهذا ما لا ينسجم مع طبيعة النص ومع إنتاج المعنى من وجهة نظره خصوصا في ظل الحديث عن خيبة التوقع وهذا ما جعله يجزم بالقول("إن الشعر الجزائري الحديث لم يحدث خيبة تلقي لدى القارئ بل كان أفق توقعه يكاد يتطابق مع تجاربه السابقة في التلقي إلا ما اتصل ببعض نصوص شعراء اليتيم")18.

عموما فإن شعر الحداثة العربية المعاصرة صعب ومبهم وحتى مشتت دلاليا فاتّكاء الشاعر المعاصر على عناصر متعددة في عملية البناء الفني من توظيف لعنصر الرمز والحكاية وبنية السرد والإحباط واليأس والتمرد والاغتراب كلها بنيات ساهمت في تشكيل جو النص الشعري الحداثي و هذا ما جعل المتلقي يتفاعل مع النص وهو نفسه ما جعل القراءة متعددة للنص الواحد وهو عينه السبب الذي جعل الساحة النقدية تقدم لنا مقاربات متمايزة لاسيما وأن النقاد أنفسهم أفراد لطبقات اجتماعية بمستويات علمية متفاوتة ورؤى نقدية مختلفة باختلاف مرجعياتهم الإيديولوجية فكل الدراسات التي قدمت لعبد الملك مرتاض وتجربته القرائية لقصيدة عربية معاصرة للشاعر اليمني عبد العزيز مقالح تحت عنوان "بنية الخطاب الشعري- دراسة تشريحية لقصيدة- "أشجان يمنية "و التحليل السيميائي للخطاب الشعري والدراسة النقدية التي قدمها أحمد يوسف "يتم النص" وما قدمته الساحة النقدية العربية بوجه عام (عبد الله الغدامي- محمد بنيس- محمد الماكري- و غيرهم) شاهد على ذلك الانفجار المعرفي في قراءة النص الشعري الحداثي بمستويات متعددة بتعدد النقاد انطلاقا من اختلاف أبعاد زاوية التلقي وخلفية التحليل والقراءة والدراسة. فلم تعد القصيدة الوثيقة أو السجل لما يتضمنه من المناسبة والحدث والتاريخ هذه الصفة سقطت من الشعر الحداثي وغابت معها هوية النصوص فعملية النقل التي مارسها الشاعر قديما سجلت وعيا تاريخيا وهذا ما غاب في الممارسة الشعرية الحديثة حين تخلخل الوعي وغابت الدلالة ومعها الفكرة الجاهزة وحلّت محلّها الرؤيا و هو ما

جعل للقارئ دورا في تذوق النص وإنتاج المعنى من خلال تحسيس أي ملمح يشير إلى الدلالة و ينتجها من خلال (التساؤل) فجوهر شعر الحداثة القلق والسؤال و البحث عن الإمكانات الجديدة وعلى هذا الأساس تتكاثر وتتوالد الأسئلة مع القراءة التأويلية فشعر الحداثة يحمل دلالة احتمالية منفلة من الحصر والجاهزية كما قال أحد النقاد. ومن هنا نشير إلى أن التأويل لا يمثل القراءة الوحيدة التي تقترب من النص الشعري العربي المعاصر وإنما هو واحد من مقدمات التفاعل مع هذا الشعر من قبل قرائه على مختلف مستوياتهم لفك غموضه وما التبس فيه من معنى ومقاربته وفق إستراتجية التأويل.

لذلك كان إعطاء القيمة الأدبية والمضمونية وسحبها من أي نص مرهون بفعل القراءة (ولا نعتقد أن حل إشكالية قراءة النصوص الأدبية موكل إلى إلغاء كل اتفاق نسبي حول الدلالات النصية في عصر من العصور أو لدى قاعدة واسعة من القراء. ذلك أن التطرف في جعل القراءة تأويلا فرديا لا غير يغيب تماما كل حضور لسلطة النص باعتباره هو أيضا يمارس دوره وتوجيهه أحيانا نحو الحصر النسبي لاحتمالات الدلالة ...فضلا عن أن السياقات الاجتماعية والحضارية تسمح دائما بتأويلات محددة تشترك فيها وتلتقي عندها شرائح كاملة من القراء في عصر من العصور دون أن يغيب الاختلاف بشكل تام)19.

غير أن الإنسان العربي الحديث المتشبع بالفلسفة والمستوعب للتاريخ الإنساني والرصيد الثقافي الأدبي والعالمي جعل أشكال التعبير القديمة خاصة التي رسمت حدودها البلاغة العربية غير قادرة على تلبية العمق المعرفي له فكان على الشعر أن يستجيب لهذا الأفق الجديد بوسائل جديدة كتوظيف الرمز والتاريخ والأسطورة والبنيات السردية فتحولت القصيدة العربية لتصبح معتمدة على البنية العامة ومع هذا التطور ازدادت مهمة القراءة تعقيدا (فحينما يصبح التعبير الرمزي مهيمنا على الإحالات المرجعية يصبح لدى القارئ حرية أكبر في التأويل والتخيل على حد سواء .كل هذا يدعونا إلى ضرورة الاهتمام بفعل القراءة باعتباره فعلا لا مستهلكا للأدب)20 ومن هنا نتساءل عن العوامل التي تحدد الدلالة الشاملة للمنطوق اللغوي وهل يمكن حصر الدلالات المتعددة أم هو نص يسبح في فراغ دلالي لا نهائي لذلك يرى بعض النقاد أن لإستراتجية التأويل نمطين: نمط يمثله التأويل المطابق وآخر مفارق. فأمّا الأوّل فإنه يسلم بتعدد الدلالات في النص إلا أنها تعددية محدودة محكومة بقوانين التأويل ومعاييره تنتهي بتفضيل مدلول محتمل لا يمثل بالضرورة التأويل الوحيد. أمّا النّمط الثاني فهو لا مُتناهٍ ينظر للنص على أنه يحمل تعددية لا محدودة فلا وجود لقواعد يستند إليها المؤول فيكفيه أنه ينظر إليه على أنه نسيج من العلامات اللامحدودة وبالتالي فهو رهان مفتوح على مغامرة لا نهائية. (" تنفي هذه اللانهائية المطلقة كل إستراتجية لسانية وسيميائية لبناء موضوع التأويل من شأنها أن تفرض حدوداً أو قيوداً على لعبة التأويل "21 ("فما يضمن حياة التأويل هو ألا نؤمن إلا بوجود التأويلات")22. هنا نذكر "دريدا" كأبرز ممثل للتأويل اللامتناهي باعتبار التفكير بحث في الاختلاف والمغايرة فكل علامة في النص تحيل على علامة أخرى في سيرورة لا متناهية من الإحالات وهذا يعني أن الدلالة هي دائما في حالة اختلاف وإرجاء لذلك سماه كل من "فرناندهالين" و "فرانك شويروجين" (تيه فعال ومنهجي)23.خصوصا و" سلسلة من الحالات اللامتناهية لا تحدها حدود dissémination أن النص آلية

تشتيت والتشتيت غير قابل للاحتواء في بنية دلالية مغلقة فيسقط إذن مبدأ التسليم بوجود "القصدية" والمسلم به أن النص ينتج بفعل آلية امتصاص نصوص أخرى وتحويلها من نسق إلى نسق آخر في شكل سلسلة لا متناهية من الإحالات. وهو ما سماه "بورس" بمفهوم فكل دليل يتحول إلى دليل آخر في سيرورة لا متناهية من الإحالات هي lassémiossis ilimitée" السيميوزيس اللامتناهي" فهي تمرد على الإبستمولوجية immediacy و المباشرة uniqueness سيروة السيميوزيس التي تنفي كل إشكال الواحدية العقلانية فالنص لا غير هو الذي يتكلم وأصبح في مقدور الأشياء أن تتداخل إلى حد التناقض لتؤكد من خلال المقاربات التأويلية المعاصرة أن النص كونٌ مفتوح واللغة عاجزة عن التعبير عن معنى وحيد معطى بشكل مسبق بل هي تعكس عدم تجانس الفكر فالكلمات لا تقول و اللغة هي التي تتكلم بالنيابة عن الكاتب وخلصوا إلى متاهة مفادها لا نهائية التأويل وقد تأسس هذا الموقف من كون أن التأويل نشاط سيميائي محكوم بقواعد لسانية فنظروا إلى النص على أنه وسيط لتأويلاته الخاصة. إذ إنّ (البناء المعرفي واكتساب المعنى الذي يحدد شروط تفاعل الإنسان مع العالم تحتاج من منظور علم النفس المعرفي إلى نسق من المفاهيم والقواعد)24.

تبنى "إيكو" هذا التأويل مؤكِّدا على ضرورة تحديد المعايير والقواعد لرسم الحدود وهذا ما أطلق عليه " المعايير الاقتصادية" critéres déconomie وفي حالة وجود تعددية في المعني يتدخل مفهوم التشاكل ليصف ويفسر الأوليات والقواعد التي ينبغي اعتمادها لإنتاج تأويلات ممكنة واستنادا إلى هذه القواعد يحدد درجة مقبوليتها و إمكانياتها وملاءمتها. وأن أي تجاهل لهذه القواعد يسقط النص في تأويلات خاطئة.

يتجاوز " إيكو" مقاصد الكاتب الفعلي كما يلغي (" التعارض بين الاتجاه البنوي(قصدية النص) و الاتجاه ما بعد البنوي (قصدية القارئ)30 هذا ما سماه (" التعاضد النصي")25. حيث يرى أن للكاتب و للقارئ إستراتيجيات فاعلية في دور التلفظ وليس في الفعل كما كان يرى "جاكبسون" فتكون (" مقصدية النص ذات فائدة كبيرة في التأويل فمقاصد المؤلف ومقصدية النص يتلقاهما القارئ عبر العلامات اللغوية فنفهم ما تيسر ثم يتأول حسب العلاقات التي تكونت لديه")26 .لا يلغي " إيكو" المعنى الحرفي في العملية التأويلية فهو يمثل النواة الدلالية الأولى التي يتركز عليها التأويل فالمعنى اللفظي يتعلق بمعاني الألفاظ المفردة لكنه يقيد حرية المؤول وهنا تتوقف إمكانيات المؤول على تفعيل دلالات جديدة من خلال العلامات الظاهرة في الرسالة. و(" باستعمال النص تكون حرية القارئ غير مقيدة؛ لأنه يستثمر النص لأغراض شخصية كأن يستخرج منه ما يؤكد قناعاته").27. وإلا لتحول التأويل إلى مجرد إعادة كتابة النص كتابة ناقصة على حد قول الناقد "محمد بوعزة". فالنص و إن كان يعمل وفق نسق الإيحاء فإنه يترك أشياء كثيرة في عتماته؛ لأنه يدل على (الحقيقة وعلى الاحتمال وعلى الممكن..إنما يعبر عن الاحتمال بل الممكن و المستحيل")28. و أن أي إهمال لها يؤدي بالنص إلى التشويه في المقابل فإن الأخذ بها يفتح المجال إلى أبعاد دلالية تفتح الباب أمام التأويل فهي (" تفرض على القارئ بعض عناصر السلسلة التعبيرية")29. ومن خلال ما سبق عرضه يمكن رصد ما يلي:

1_ تيار تفكيكي يسلم باستحالة التجديد فالنص في منظوره نسيج من العلامات و الإحالات اللامتناهية آلية تطلق العنان لسيرورة دلالية تنتشر في كل الاتجاهات بحسب المؤول فهو آلية للتشتيت وليس للتعبير عن الدلالة .

2_تيار سيسيوطيقا التلقي ونظريات القراءة لا ينفي وجود معنى للنص (" فالنص يدل على الحقيقة و على الاحتمال وعلى الممكن... وهذا يعني أن النص لا يعبر عن الحقيقة وحدها وإنما يعبر عن الاحتمال أيضا بل والممكن والمستحيل إذ نقصد بالحقيقة هنا كمفهوم متدرج يعبر عن علاقات دلالية متفاوتة ومتغيرة بحسب مواقع النص وليس كمبدأ مطلق وسابقا في الوجود على النص كما ادّعت الفلسفة المثالية. وتبعا لذلك فإن النص يحمل قطبين: قطب واضح، وقطب غامض، و يكون بذلك بدرجات متفاوتة والمؤكد أن مواقع الشك والغموض (هي التي ننطلق منها لبناء التأويل... وهي التي تتيح تطبيق هذا التأويل على النص")30. ليكون ذلك صورة متداخلة داخل النص وتكون النصوص متفاوتة الدلالة. (" بهذا يسقط مبدأ المحايثة الذي يقول بوجود المعنى في النص وكذلك المقاربة التفكيكية التي تسلم بالسلطة المطلقة للقارئ. فكل قراءة ينبغي أن تدمج الأطراف البنيوية والتداولية المشكلة لسيرورة الدلالة. فعمل الدلالة يكمن في تلاقي النص والقارئ الذي يفرض على القارئ بعض عناصر السلسلة التعبيرية")31 mise en relief حيث هي التي تنهض بوظيفة (" الإبراز فأي إهمال لها قد يؤدي إلى تشويه النص وبهذا نستطيع القول: إنّ التأويل المتناهي الذي يسلم بتعددية النص يجمع بين برنامج القارئ وبرنامج النص ويؤشر التأويل على دلالات محتملة تظل مفتوحة كلما تغيرت سياقات إنتاج النص وتلقّيه.

ومع تغير الوضع الإبستمولوجي لمفهوم النص أعلن "بارث""موت المؤلف" وميلاد القارئ فقد أصبح ينظر إلى القراءة على أنها إنتاج وممارسة وليست استهلاكا ليصبح القارئ هو مَن يقوم بعملية الربط بين الدلائل حيث يغدو مشاركا في الإستراتيجية النصية. كما أصبح يطرح أمام القارئ شبكة مفتوحة من الدلائل جعلت من القراءة تفاعلا بين القارئ والنص وهي شرط ضروري لسيرورة المعنى وفق مسار التحولات الدلالية حيث حققت لسانيات سوسور ("إنجازات نظرية وإبستمولوجية مهمة سواء على مستوى المنهج والرؤية أو على مستوى تقنيات وإجراءات التحليل وبفضل هذا الإنجاز العلمي تحولت إلى نموذج تمثلي تتطلع العلوم الإنسانية الأخرى إلى الاحتذاء به")32. و لما كانت علاقة الدال والمدلول اعتباطية فإنها لا تعبر أبدا عن معطيات واقعية بل عن تصورات ومفاهيم يتحدد معناها داخل نظام اللغة لذلك كان الاهتمام موجه نحو دراسة هذا النظام داخليا يتحكم في مبدأ الاعتباطية النافي لوجود أي علاقة للدلائل والعالم الخارجي.

وعلى الرغم من أن اللغة تدل على الواقع فقط ولا تحيل علية مباشرة أو تعكسه فإنها تنتج باستمرار وَهْماً بأنها تعكس الواقع بدلا من أن تدل عليه وبالرجوع إلى مفهوم الاعتباطية الذي يجمع بين الدال والمدلول فإن علم الدلالة يبدوا مقصيا في اللسانيات البنيوية كونها لا توفر أي رابطة بين الدليل والمرجع عكس ما هو معروف عند سيميوطيقة بورس من روابط كالرمز والأيقونة والأمارة وبين الأشياء التي تحيل عليها. فالأمر يتعلق إذن بدلالة محايثة ("يبنها نسق الدوال منظور

إليه كدوال... تعبر عن علاقات دالية ")33. وليست علاقات بين التعابير اللسانية ومعانيها أو بين معانيها وحدها. لقد عارض باختين الدلالة المحادثية واعتبرها مظهرا من الانغلاق؛ لأنه (" لا يعكس الدليل بالواقع أو علاقته بالفرد الذي يولده ولكنه يعكس الدليل بالدليل داخل نظام مغلق")34. فاستطاع بذلك "باختين" أن يثبت بأن السياق اللفظي عنصرٌ ضروريٌ لبنية التلفظ الدلالية لذلك فقد تجاوزت هذه المقاربة الطروحات الماركسية الآلية التي تنص على أن السياق الاجتماعي يتحكم آليا في التلفظ ما ترتب عنه ما أصبح يعرف بعلم عبر اللسان كفرع جديد ابتدعه "باختين" موضوعه هو التلفظ مستفيدا من نتائج علم اللسان. لتتوجه الأنظار إلى علاقات اللغة بالثقافة والإنسان فأخذت بذلك منحى أنثروبولوجيا.

تتواصل الأبحاث في هذا الشكل حتى قدم كل من " سابير و بلو مفليد" نظرية مهمة حيث انطلقا من كون اللغة نسقا للترميز فالرمز يعطي للذات مجالا واسعا للتحرر من قيود العالم الموضوعي من خلال ترميز اللغة لهذا العالم لامتلاكه صوراً وكيانات قابلة للإدراك والتمثل ضمن أشكال. لذلك أصبح ينظر إلى الأدب على أنه نظام دلالي له علاقات وخصائص وهو ما سمته " الشكلانية""بالأدبية " أو ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا.

هذا ما يكرس استقلال العمل الأدبي عن شروط إنتاجه وسياق تلقيه إذ (" لم نكن نتعرض لقضايا بيوغرافية أو سيكولوجية الخلق")35. فيجعل وظيفة الدلائل تخرج من التواصل إلى إبراز الرسالة ذاتها وهذا ما سماه " جاكبسون" بالوظيفة الشعرية التي ترتبط بالمتعة الجمالية التي يشترك فيها الشعر مع النثر فالشعرية علم يبحث عن الممكن الأدبي على قاعدة استقلالية النص الأدبي وأصبح يبحث عن المعنى في ("علاقاته الداخلية علاقات اللغة والشكل")36؛ لتصبح الأشكال الأدبية والثقافية تشكل أنساقا مبنية ومنظمة مثل نسق اللغة. وحتى ("إبستمولوجيا يختلف بناء نحو النص تماما عن بناء نحو اللغة ")37. فلم يعد اهتمام الشعرية هو المعنى بل ("معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس وعلم الاجتماع... لم تبحث عن قوانين داخل الأدب ذاته فالشعرية إذن مقاربة للأدب "مجردة" و" باطنية" في الآن نفسه")38.

إنتقادات تعرض لها مفهوم المحادثية خصوصا من طرف اتجاهات سوسيولوجيا النص الأدبي إلا أنها تلح على عدم رفض كل التأويلات الخارجية للنص بصفة مطلقة ولكن اعتبارها ثانوية ما دامت المقومات الأدبية هي أدبية قبل أن تكون نفسية أو اجتماعية أو تاريخية؛ لكونها تقوم على منهج استقرائي واستنباطي. أما الدلالة من منظور الفكر المابعد البنيوي فإنه ينظر إليها من منظور الاختلاف لا التشابه حيث أن النص هو شبكة من الاختلافات المتعددة حتى أصبح الرهان الفلسفي مرتبطا في البحث عن الاختلاف وليس المشابهة فالنصوص كلها (مسرح لهذا الاختلاف")39. فالنص ("لا يمكن أن يكون هو ذاته إلا في اختلافه")40 و لهذا تخلى " بارث" في مقاربته هذه عن الرهان البنيوي لذلك فإن التفكيكية لا ترى في طموحات البنيوية سوى أحلاما مستحيلة وبذلك فقد حطم ولاء البنيوية المطلق للعقل واستبدل منطق الاستقراء بإستراتيجية

التأويل على خلاف البنيوية التي أعلت من شأن النسق والبنية فغاب معه مفهوم البنية النهائي والمعطى الجاهز (" واستبدلت الصورة السكونية المغلقة عن النص الممارسة")41. بالتالي لم يعد ينظرPLAY الأدبي التي ترافق مفهوم البنية بصورة دينامكية مفتوحة معبر عنها بمفاهيم مثل الحركة كمعنى توزيع الأنساق في شكل غير متناهٍ (signification) إلى الدلالة. مما جعلها ترفض كل انغلاق للنص انطلاقا من أن كل نص هو بمثابة امتصاص لنصوص سابقة وإعادة النظر في مفهوم المؤلف وهذا ما رصده انجينو مارك" هكذا نشأ على هامش سلطة القراءة tel-quel والعمل الأدبي خاصة مع جماعة( ) التي تنطلق من فكرة النص لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى عشرات النصوصintertextualityحركة نقدية أخرى هي التناصية (التي سبقته وأسهمت في خلقه(" فلا وجود لما يتولد من ذاته بل من تواجد أحداث متسلسلة ومتتابعة ومن توزيع للوظائف والأدوار")42 ومن هنا فإن القراءة الإبداعية تعيد إنتاج النص المقروء على ضوء سلسلة من التعالقات التناصية المتشابكة وفق جدلية الحضور والغياب، حضور الدال وغياب المدلول ودور القارئ في استحضار المدلول الغائب.

أمن "ميشال فكو " ومعه الفكر ما بعد البنيوي بأن أي كتاب هو ("مجرد عقدة داخل شبكة أو مجرد جزء من الكل")43. لذلك فالكتابة عندهم تنشأ داخل حقل خطابات متشابكة. ومن هنا فلا وجود لنص بكر لهذا صرح "رولان بارث" صراحة أن التناصية قدر كل نص مهما كان جنسه ("فالكلام كله سالفه وحاضره يصب في النص)44. فالمتكلم ليس آدم على حد تعبير باختين. هذا ما جعل القارئ يتفاعل مع النص وهذا ما فسرته قراءة النص الواحد قراءة متعددة حيث عجت المجلات النقدية والأدبية المتخصصة بالدراسات النقدية فبرزت في ساحتنا الفنية أسماء لنقاد شكلوا مسارات متمايزة في هذه الدراسة قراءات معاصرة وغنية بالزخم المعرفي والفلسفي والجمالي فحققت نقلة نوعية للنقد العربي وإخراجه من مقولات النقد التقليدي رهين الشكل والمضمون فاتحة بذلك مساحة أوسع في تذوق جمالياته والولوج في أغوار اللغة الشعرية والتعامل مع دلالاتها وإيحاءاتها مما يمنح للنص انفتاحه وتعدده وتجدده مع كل قراءة فالنقاد هم أنفسهم أفراد ينتمون لطبقات اجتماعية ومرجعيات إيديولوجية وانتماءات مذهبية مختلفة، الشيء الذي انعكس في أعمال النقاد العرب المعاصرين.

إن المتتبع لعناوين الدراسات النقدية العربية المتنوعة يجدها تمثل تعددا في مستويات التلقي، منها الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر للناقد عبد الله الغذامي، تعد أول دراسة نقدية تعلن انتماءها للمنهج التفكيكي، وكذا التحليل السيميائي للخطاب الشعري تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي، والقصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد لعبد الله راجع، والأعمال النقدية للناقد الشاعر محمد بنيس ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية، والدراسة النقدية التي قدمها الناقد شربل داغر الشعرية العربية الحديثة تحليل نصي، كثيرة هي الدراسات التي تشهد على الانفجار المعرفي في قراءة النص الشعري الحداثي المتعدد.

تلكم هي مجموعة قراءات لنقاد عرب تظهر ضروب التلقي التي واجهت قراءة الشعر المعاصر بكل أشكاله وتمثل في الوقت نفسه تعددا في مستويات التلقي حيث ينطلق الناقد كمال أبو ديب من مقطع لقصيدة للشاعر السوري أدونيس بعنوان هذا هو اسمي من الجانب الإيقاعي لتجسيد انفتاح النص بوصفه نصا حداثيا قابلا لتعدد القراءات وفق تشكيلات إيقاعية جديدة متجاوزة النمط الإيقاعي الموروث ويظهر غموضه في كثافة هذا الإيقاع من حيث أصواته المتداخلة تمثل دلالة فنية تحيل على عناصر نفسية وجمالية وحضارية في الوقت ذاته حيث يرى أن النص نسيج إيقاعي مركب من أصوات متموجة تفجرت عنه إيقاعات جديدة خالقة أبعادا دلالية جديدة وخاصة تندرج ضمن مشروع الحداثة الشعرية التي ترى في تجاوز الإيقاع الشعري المنتظم وإخراجه من النمطية المكررة المتوارثة يجعله أكثر إبداعا دلالات فنية لا حدود لها.

خاتمة:

تحدد أدبية النص سلطة كُلّ من النص والقارئ فيتكامل فعل القراءة وتدرك العلاقة بين النص والنقد، عمل يقتضي التدرج الجدلي عن طريق استحداث مقولة الاستكشاف(كيف) التي تسعى إلى تحديد فعل القراءة ثم استقصاء مكونات النص إلى الوقوف على الأدوات الإجرائية حيث يتسنى للقراءة الوقوف على بنية النص وفك شفراته ثم إعادة بنائه طبقا للجهاز النقدي (فعل القراءة) ومعرفة مقومات النص من حيث هو بنية لغوية لسانية ارتبطت بوظيفة دلالية فحاولت بذلك الكثير من القراءات تقصّي الحقيقة السابقة كالقراءة الأفقية التي تعتمد على المعارف اللغوية القديمة دون الاستناد على مدرسة معينة والقراءة المرجعية المستندة على المدارس الحديثة كالمنهج النفسي والاجتماعي والتاريخي والجمالي.

ومع تزايد الاهتمام بمفهوم الحداثة في النقد العربي وفي محاولة منهم لخلق التوازن بين عملية التأثير والتأثر حيث بدت فاعلية القراءة البؤرة المركزية للتحليل الأدبي وتوليد المعنى فتباينت بذلك مستويات القراءة وتعددت فراح فعلها يتوَّج بالكثير من هذه الدراسات وبخاصة تلك التي تعتمد على التطبيق ومنها دراسات يمنى العيد، كمال أبو ديب، عبد الملك مرتاض وغيرهم، فكانت في أغلبها ذات منحى أسلوبي أو بنيوي أو تفكيكي إضافة إلى الدراسات السياقية السابقة فكان طبيعيا أن تتولى الإستراتيجيات التي تعد العقل القرائي تفاعلا بين المستويات الدنيا والأخرى العليا فيتحقق الفهم من خلال تفكيك المعطيات النصية إلى التأويلات للوحدات الدلالية في سياقها ليتضح من خلال ما سبق أن للنص نظامه وتراتباته وللقارئ بنياته الذهنية والمعرفية المساعدة في الفهم التي تمده بالقدرة على تعيين البنيات النصية وتأويلها تأويلا لامتناهيا يحمل تعددية لا محدودة مفتوحا على مغامرة لانهائية الأمر الذي يجعل الحديث عن القراءة الأدبية تحليلا لهذا التفاعل المتبادل بين النص والقارئ في إطار التلقي.

الهوامش

[1] حميد الحميداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، ص05.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، ص445.

3 ينظر عبد الله الغذامي، مجلة فصول ع 1 القاهرة 1984 ص 107.

4 عبد الملك مرتاض، اللغة والمعنى، مجلة حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران العدد2.

5 لسانيات النص وتحليل الخطاب: بحوث محكمة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الجمعية المغربية للسانيات النص وتحليل الخطاب أكادير المغرب ، المجلد 2 ص674.

6 نفسه، المجلد 1ص57.

7 ينظر سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس تر: سعيد بن كراد دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2010 ص159.

8 دراسات سيميائية أدبية لسانية، مجلة فصلية متخصصة العدد 2 1986، مطبعة النجاح، المغرب ص84.

9 لسانيات النص وتحليل الخطاب، ج 2 ص684.

10 نفسه، ص 683.

11 سياق الجملة وسياقات النص _ الفهم و التأويل _ سعيد بن كراد لسانيات النص و تحليل الخطاب ص685.

12 لسانيات النص _ ح2 ص678.

13 دراسات أدبية لسانية ص 61.

14 القراءة و توليد الدلالة، حميد لحميداني، ص118.

15 ينظر: لسانيات النص وتحليل الخطاب_ المجلد1 ص68.

16 أحمد يوسف، يتم النص _الجينالوجيا الضائعة، ص12.

17 المرجع نفسه.

18 المرجع نفسه، ص 13.

19 حميد لحميداني، القراءة وتوليد الدلالة _ المركز الثقافي العربي ص 05.

20 المرجع نفسه، ص 11.

21 محمد بوعزة، إستراتجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، ص58.

22 ميشيل فوكو، خصائص التأويل المعاصر- تر: عبد السلام بن عبد العالي- فكر و نقد _العدد 16- 1999_ ص 138.

23 فرناند هالين وفرانك ستوبرويجن من الهيرمينو إلى التفكيكية _تر د عبد الرحمن بو علي _ دار النشر الجسور وجدة ط1 1995_ ص51.

24 محمد بوعزة، إستراتجية التأويل من النصية إلى التفكيكية ص72.

25 أمبرتو إيكو القارىء في الحكاية _تر: أنطوان أبو زيد، بيروت الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ط2 1996_ ص 85.

26 محمد مفتاح، دينامية النص _ بيروت الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ط2 1996_ ص182.

27 محمد بوعزة، إستراتجية التأويل، ص 80.

28 محمد مفتاح_ المفاهيم معالم_ ص 32.

29 ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب_ تر حميد الحميداني الدار البيضاء منشورات دراسات ط1 1993_ ص05.

30 جماعي نظريات القراءة _تر عبد الرحمن بو علي وجدة دار النشر الجسور ط 1 1995_ ص60.

31 ميكائيل ريفاتير_ معايير تحليل الأسلوب تر جميد الحميداني ص 5.

32 محمد بوعزة _ إستراتجية التأويل_ ص 13.

33 إستراتجية التأويل ص16.

34 ميخائيل باختين الماركسية و فلسفة اللغة _ تر محمد البكري و يمني العيد الدار البيضاء الدار توبقال للنشر ط1 1986_ ص 78.

35 نظرية المنهج الشكلي _ تر إبراهيم الخطيب بيروت الرباط الشركة المغريبية للناشر بين المتحدين مؤسسة الأبحاث العربية ط1 1982_ ص35.

36 المرجع نفسه ص 23.

37 محمد بو عزة _ إستراتجية التأويل من النصية إلى التفكيكية_ ص 24.

38 تزفيتان تودروف _الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء سلامة الدار البيضاء دار توبقال ط2 1990 ص23 .

39 RO.land.barthes S Z paris Editions du Seuil1970.p9 -

40 رولان بارت دربي السيميولوجيا _ تر: عبد السلام بن عبد العالي دار توبقال للنشر الطبعة الثالثة 1993_ ص63.

41 ان جفر سون وديفيد روبي، النظرية الأدبية الحديثة _ تر: سمير معبود، دمشق منشورات الثقافة 1992_ ص188.

42 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 125.

43 معجم حفريات المعرفة، ص 23.

44 رولان بارث، نظرية النص- تر: محمد خير البقاعي- العرب و الفكر العالي- بيروت عدد03 1998_ ص 96.